

الدين والعلم والمال

المدن الثلاث

ذكر مدينة الدين ومدينة العلم ومدينة المال وما جرى بين سكانها من التزاع
ودعاوى كل فريق منهم علي خصبه وكيف انتهت مشكلتهم التي هي اليوم أكبر
المشاكل عند كل الامم والشغل الشاغل لفلاسفة العمران
ورؤساء الحكومات

تأليف

فرح انطون

منشئ مجلة (الجامعة)

« فتنبذر العالم من يوم يصبر فيه
الضعفاء اقوياء والاقوياء ضعفاء »

(حقوق اعادة الطبع محفوظة للمؤلف)

الفصل الأول

✽ حليم ✽

والمدن الثلاث التي كان يحج إليها الناس

فقال له الشيخ وهل نقيم عندنا طويلاً يا بني
فاجاب الشاب نعم يا عم فاني جئت من اقاصي البلاد لاشاهد المدن الثلاث التي
سار بذكرها الركبان . وربما استغرقت اقامتي عندهم شهراً الى الاقل . لاني سازورها
واحدة واحدة وابحث في شؤونها بحث مؤرخ دارس لا بحث متفرج
فتنفّس الشيخ الصعداء وقال . اف اف كم يزور الناس هذه المدن الثلاث . فهم
يظنونها عجيبة من عجائب الدنيا مع اننا نحن لا نراها الا مدناً كباقي المدن . انظر اليها
اي فرق بينها وبين باقي المدن سوى قيامها في هذا السهل الفسيح بشكل مثلث
فتنظر الحاضرون الى حيث اشار الشيخ فشاهدوا امامهم سهلاً فسيحاً لا يعرف
الطرف آخره . وكان في هذا السهل ثلاثة بلدان جميلة البنيان محاطة من كل جهة بالحدائق
والبساتين والحقول الصفراء من منظر الزرع تغطاها المواشي المختلفة وهي تروى بحراسة فتيان
وفتيات كانوا جالسين افراداً وازواجاً وجماعات تحت الاشجار المثمرة او في ظل
بعض السياجات

فقال الشاب بعد ان سرح طرفه في هذا المنظر البري . حقاً انه منظر بديع
وكان المكان الذي يقيم فيه الشاب والشيخ مع بعض من الزائرين منزلاً صغيراً في
قرية صغيرة قريبة من « المدن الثلاث » وكانت هذه القرية في اول السهل على مقربة من

النهر الجميل الذي كان ينساب في السهل انساب الانبياء لسقي زروعه واشجاره . وقد سمى الناس هذه القرية « الدخول » او قرية الدخول لانها المدخل الى المدن الثلاث - الى تلك البقعة التي كان يحسبها الناس جنة الله في ارضه

فبعد ان امعن الشاب النظر قليلاً في المدن الثلاث التفت الى الشيخ وقال : هل تعرف يا عم تاريخ تأسيس هذه المدن بالتدقيق

فاجاب الشيخ : كل الناس هنا يعرفون هذا التاريخ يا بني لانهم لا ينسون ذكر ذلك الرجل الكريم والانسان الذي لا مثيل له بين البشر ومؤسس هذه المدن ومنشئها . انظر الى تلك الحديقة البعيدة الكائنة في وسط المدن الثلاث . هذه حديقته وقد اقام لها فيه اهل هذه المدن تمثالاً عظيماً يحنفون بتذكاره مرة في كل عام

فقال الشاب انك تتكلم عن المرحوم الشيخ سليمان فاحك لي قصته وقصة تأسيس هذه المدن من اولها

ف فعل الشيخ قليلاً واصلى جلوسه فوق الوسادة ثم اخذ يقول منذ نحو مائة سنة يا بني كان الشيخ سليمان فتى فقيراً يتيماً يتجول في المدن يطلب عملاً . فذاق في صباه كل انواع العذاب في هذه الحياة . وما كان يزيد عذابه نفسه الحساسة الكبيرة طبقاً لما قيل

وانعس الناس حالاً من تكون له نفس الملوكة وحالات المساكين ولكن يظهر ان العناية الالهية يا بني لا تخص بعض هذه النفوس بالشقاء والنقم والعذاب الا لمقاصد سامية . فانه اذا كانت المصائب تسحق النفوس الصغيرة وتقل عزائمها فانها تشدد عزائم النفوس الكبيرة لانها تعلمها بالاخبار ما لا تتعلمه بسواه . فهي كالعود الطيب الذي لا تنتشر رائحته الا متى مسته النار او كالزيت الذي لا يضيء الا بالاحتراق . وهذا ما جرى للشيخ سليمان . فانه بعد ان ذاق من مصائب الحياة ما ذاق في ايام الفقر والضييق لم تسمح له طبيعته الكريمة ان ينسى ذلك في ايام الثروة والرخاء

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان ياءلهم في المنزل الحشن ولذلك كان همه اول ما اثرى وجمع مالاً طائلاً ان يقوم بمشروع كانت تحمته نفسه به منذ صباه فانه في ذات يوم اعلن في البلاد كلها اعلاناً غريباً اقصاه في الشوارع وفقره في الناس وبعثه في الطرق والاسواق . ومحصل هذا الاعلان ان كل فتى وكل فتاة يمرولان في الشوارع بلا شغل ولا رزق اذا فصداه فانه يعطيها شغلاً ورزقاً واسعاً . فلم يمض على

هذا الاعلان اسبوع واحد حتى بلغ عدد الفتيان الذين قصده ٣٢٤٥ فنى وعدد الفتيات ٣١٢٠ . فاشترى الشيخ سليمان هذا السهل الواسع الذي امامنا ومساحته ٥٠٠٠ فدان واسكن اولئك الفتيان والفتيات فيه واحضر لهم زراعاً وصناعاً يدرّبونهم على الزراعة والصناعة واقام منهم حكومة لم وسن لهذه الحكومة قوانين وجعل فيها قضاة وجنداً ورئيساً اعلى . نعم ان ذلك كان مضحكاً في بدء الامر ولكنه لم يلبث ان صار جدياً مهماً . فان اولئك الفتيان والفتيات الفقراء الذين اجتمعوا من كل الجهات انتقلوا بهذه المعاملة من حالة الى حالة . فبعد ان كانوا مثلاً يجمعون اعقاب السكائر من الشوارع والاسواق ليبيعوها الى تجار الدخان او يطوفون المدينة بالنهار بانواب بالية فذرة يستعطون قوتهم او يطلبونه من فضلات المنازل في المزابل وفي الليل ينامون اكداً في زوايا الطرق على البلاط البارد حتى في اشد ليالي الشتاء يردّ اكلتهم حيوانات لا بشر — صاروا يشتغلون بشرف واجتهاد في اما كن معدة لذلك ويلبسون من اجرة شغلهم ثياباً نظيفة ويتغذون باطعمة مغذية . ولم تعد ترى في عيونهم ذلك القلق الشديد الذي كان فيها حين كانوا في تيار تلك المعيشة الهائلة التي لا يكون فيها الانسان على ثقة حتى من بلغة يسدّ بها رمقه سيف المساء او في الصباح لتدوم له حياته . بل حل محل ذلك القلق طمانينة تامة لثقة ذلك العامل الصغير بان حياته صارت مضمونة . ولذلك صار يتسم للحياة ابتسام الراحة والارتياح بعد ان لم يكن يتسم من قبل الا ابتسام عدم المبالاة بشيء حتى بالحياة . ومجازده راحة وسعادة حكومته نفسه بنفسه تحت مراقبة الشيخ سليمان وصيته . فانه لم يمر على هؤلاء الاولاد نحو سنة من الزمان حتى صاروا يشعرون بالتبعة التي عليهم ولذلك صاروا يراعون الحدود في سلوكهم . ومن هذا اليوم يبدأ تاريخ نهوضهم من عثرتهم

فقطع الشاب كلام الشيخ وقال : اذا اجداد سكان هذه المدن الثلاث كانوا من فضلات الازفة والشوارع

فقال نعم يا بني ولكن تذكر ان الورد لا ينبت الا من الشوك والزرع لا يخرج الا من بصل . على اننا نحن سكان هذه القرية كنا نود لو انقصر سكان هذه المدن الثلاث على المعيشة التي عاشها اجدادهم اولئك الفتيان العاملون لان في ذلك راحتنا من الاضطرابات والفتن التي قام قائمها بين السكان في الازمنة الاخيرة . فاولئك الفتيان كان لهم لم غير زراعة ارضهم واتقان مصنوعاتهم والمعيشة بسلام بعضهم مع بعض . اما اصحابنا هؤلاء فان دأبهم النزاع والخصام . نعم الاباء ولكن بئس ما ولدوا

فقال الشاب وما سبب نزاعهم وخصامهم
فقال الشيخ : انت ترى يا بني ان هذه المدن ثلاث . فاحداها تدعى مدينة المال
لان اهلها كلهم يشتغلون بجمع المال . والثانية تدعى « مدينة العلم » لان اهلها كلهم
يشتغلون بالعلم . والثالثة تدعى « مدينة الدين » لان اهلها كلهم منقطعون الى الدين .
وقد حدث هذا الانقسام على ما ترى منذ زمن بعيد . فان اولئك الفتيان والفتيات الذين
احسوا هذه الجمهورية الصغيرة بعد اشتغالهم بزراعة الارض واتقان المهنات اصابوا نصيباً
من الثروة والسعة . فلما تزوجوا وتكاثروا جاء ابناءؤهم ارق منهم واكثر ميلاً الى الشؤرون
النفيسة . فعكف بعضهم على التجارة وبعضهم على العلم وبعضهم على الادب وبعضهم على
الدين — كل بحسب استعداد نفسه وقابليتها . فلم يمر زمن طويل حتى قام النزاع بينهم على ساق
وقدم . فارتأى بعض منهم زيادة في توسيع المعيشة على السكان ان ينشئوا
بلدين اخرين قريبين من البلدة الاصلية . ثم رغبة في حصر النزاع في مكان واحد او
منعاً للنزاع قرروا ان تسكن كل طبقة في بلدة . طبقة المال تسكن في البلدة الشرقية وطبقة
العلم في البلدة الغربية وطبقة الدين في البلدة الجنوبية . ولكن هذا التدبير قد ذهب سدى
بلا جدوى لان النزاع ما زال قائماً بينهم

الفصل الثاني

✽ الحب ✽

في قلب لم يعرف الحب

وكان الشاب الذي التى على عمه الشيخ تلك الاسئلة في نحو الثلاثين من العمر وقد
جاء سائحاً لمشاهدة هذه المدن الثلاث التى سمع بها من بلده . وكان رجلاً قد درس علوم
المتقدمين والمتأخرين ووقف على المبادئ القديمة والحديثة وصار يطلب خالته بينها على
غير فائدة . فلا المدينيات القديمة كانت تعجبه لان حقوق الضعفاء كانت مهضومة فيها و بناءها
قائم على القوة والعنف . ولا المدينيات الحديثة كانت ترضيه لانها جعلت الحياة عرا كاهائلاً
وجهاداً عظيماً بين الناس . وكان وهو في المدرسة قد لح في ذهنه عصرًا يسمى مؤرخو
اليونان العصر الذهبي ويسميه كتاب المسيحية عصر الفردوس الارضي فبقى منه في فكره